(٧)

تنويع طرق التدريس وأساليبه

هناك ثلاثة عوامل على الأقل تؤثر على اختيار طريقة تدريس الطلاب كبار السن:

١ـ طبيعة الكبار كمتعلمين.

٢ـ توفر التقنيات التربوية.

٣ـ الاتجاه نحو مجتمع متعلم وتدفق المعلومات.

طبيعة الكبار كمتعلمين

لقد كتب الكثير عن أساليب تدريس الكبار من مثل آبس ١٩٨١، ونولز ١٩٨٠، وبروكنتليد ١٩٨٦، ونوكس، ١٩٧٧، وهاول ١٩٨٤، وكروس ١٩٨١، وتوف ١٩٨٢، وكان (نويل) ١٩٨٠ أول من أشار إلى الفروق بين الطلبة التقليديين وكبار السن. لقد أوجد اصطلاحاً جديداً هو (اندراجوجي) الذي أصبح يتداول بشكل واسع من قبل أولئك الذين لهم علاقة بعلم مساعدة الكبار على التعلم. وبالرغم من إثارة تساؤلات كثيرة حول هذا المفهوم إلا أنه بقي أساساً لفهم الفروق بين الطلبة التقليديين والكبار في مجال التعلم.

لقد اعتمد نويل ١٩٨٠ في تطوير هذا المفهوم على أربعة مبادىء أساسية:

١ـ يتغير مفهوم الذات لدى المتعلمين الكبار من كونهم معتمدين على غيرهم إلى كونهم يعتمدون على أنفسهم.

٢ـ لديهم خبرات كثيرة تشكل مصدراً من مصادر التعلم.

٣ـ يوجه استعدادهم للتعلم نحو المهمات المستجدة لأدوارهم الاجتماعية.

٤ـ يتغير مفهوم الوقت لديهم. فبدلاً من كونهم يميلون إلى تأجيل تطبيق المعرفة النظرية، يصبح اهتمامهم كبيراً للتطبيق الفوري للمعرفة النظرية.

وهناك عدد من المهتمين بتعليم الكبار يرفض مبادىء نويل عن تعليم الكبار وخاصة المبدأ الثاني. ولا يعترف كثير من التربويين أن دور المعلم يقتصر على توفير بيئة التعلم للكبار. وبموجب مبدأ نويل الثاني المتعلق بالتوجيه الذاتي فإن الكبار يتعلمون بأنفسهم إذا توفرت لهم الظروف المناسبة من مواد دراسية وبيئة تعليمية. وقد يحدث ذلك في كثير من الأحيان ولكن لا يمكن إلغاء دور المدرس التقليدي في معظم الأوقات.

ويتضح لنا من قراءة ما كتب عن تعليم الكبار أن هناك عدداً من الأهداف المتعلقة بالتعليم العالي ويحسن هنا أن نعلق على أهم هذه الأهداف وهي:

ـ الدور الفعـــال:

ينبغي أن يكـون للمتعلمين الكبار دور فعال في عملية التعلم. وينطبق هذا على المتعلمين الصغـار أيضـاً. وباستطاعة المتعلمين الكبار المساهمة في تطوير المناهج وتحديد أهداف التعليم واختيار طرق التدريس.

ـ الخبـــرة:

يحضر المتعلمون الكبار معهم إلى البيئة التعليمية خبراتهم الطويلة التي تثري بيئة التعلم. ويجب ألا ننسى أن هذه الخبرات السابقة قد تكون عائقاً لعملية التعلم. واذكر أنني علّمت صفـاً من كبـار السن العـائـدين للجامعة بعد فترة انقطاع، وكانت إحدى الـطالبـات تصـر على التحـدث عن خبراتها في كل موضوع تعليمي نناقشه سواء كان الموضوع مناسباً أم غير مناسب.

الحاجة إلى تطبيقات عملية :

يستجيب الطلبة كبار السن إلى التعليم الذي يشعرون بإمكانية تطبيقه عملياً في حياتهم اليومية ـ لذلك تعمد الكليات والجامعات على توفير فرص التطبيق العملي بإرسال هؤلاء الطلبة إلى مؤسسات صناعية لقضاء فترة تدريبية فيها.

المكانة المتزامنة :

إن للطلاب كبار السن أكثر من مكانة واحدة في نفس الوقت منهم طلاب متفرغون أو غير متفرغين، وهم في الوقت نفسه أرباب أسر ولهم نشاطاتهم الاجتماعية، وما وجودهم في الجامعة أو الكلية إلا مجرد نشاط معين لهم بالإضافة إلى مهماتهم الأخرى.

عملية التخلي عن بعض المعلومات والمهارات السابقة :

كثيراً ما يضطر المتعلمون الكبار إلى التخلي عن بعض مهاراتهم ومعلوماتهم السابقة كجزء أساس من عملية تعلمهم الجديد. وتعتبر هذه العملية شاقة جداً على بعضهم وتتطلب وقتاً طويلاً لأنهم قد عاشوا فترة طويلة واكتسبوا مهارات وخبرات كثيرة. ويقول (مور) ١٩٧٤ إن علينا أن نمارس هذه العملية مراراً في حياتنا وخاصة إذا عُدنا لتلقي العلم ونحن كبار السن. وليست هذه عملية سهلة لأنها مرتبطة بتغيير الاتجاهات عند الأفراد.

المشاكل التي يواجهها كبار السن من المتعلمين :

يواجه المتعلمون الكبار عدداً كبيراً من العوائق أثناء عملية التعلم، منها القدرة على التركيز واستغلال الوقت، بالإضافة إلى ما يتعلق بالمهارات الدراسية والمدرسين في الصفوف ومشكلة التخلي عن بعض المهارات والمعلومات السابقة.

وهناك فروق بين المتعلمين الكبار والطلاب التقليديين وخاصة في موضوع الرياضيات والجبر. وقد ورد في تقرير مركز (ديسكنسن) للتقييم عام ١٩٨٣ أن علامات الطلاب الكبار كانت أقل من علامات الطلبة التقليديين في امتحانات الرياضيات،

ولوحظ أن قدرة الكبار على تذكر وتطبيق بعض المفاهيم الرياضية أقل من قدرة الطلبة الصغار.

وبـالإضافة إلى هذه المشاكل الأكاديمية التي يواجهها كبار السن من المتعلمين، هنـاك مشـاكـل أخـرى كثيرة مثـل: وضع أهداف غير واقعية، والصورة المهلهلة التي يستشعرها بنفسه، والمشاكل العائلية، والتوجه الشديد نحو التطبيق العملي.

يظن كثير من المتعلمين الكبار أن بوسعهم تحقيق انجازات عظيمة في فترة زمنية معينـة. ولأن دافعيتهم للتعلم عالية، ويكون انجازهم عظيماً. ولكنهم يشعرون أحياناً بالاحباط لأنهم لا يستطيعون إنجاز المزيد، وخاصة المسجلين الجدد الذين يحتاجون إلى عدة أشهر ليتعرفوا على مدى قدراتهم الحقيقية على الإنجاز، ويجب على المدرسين والطلبة كذلك خلال فترة التكيف هذه أن يظهروا مزيداً من الصبر والتفهم.

ويعود مفهوم الذات السلبي عند الكبار إلى انقطاعهم عن التعليم فترة من الزمن. لذلك فهم يبدون اهتماماً كثيراً فيما يقولون خوفاً من انتقاد زملائهم لهم. وهم يخشون الفشل لأن أفكارهم أصبحت قديمة، ولأن مهاراتهم لم تعد تناسب الفترة التي يعيشونها. ولكن النجاح الذي يحققونه في البداية يدعم ويقوي مفهوم الذات المهزوز لديهم.

ولذلك ينبغي على المدرسين أن يزودوا الطلاب بانطباعاتهم عنهم في فترة مبكرة. إن تعليق المعلم على عمل الطالب سواء كان كتابياً أم شفوياً يساعد الطالب على تحديد مستواه.

كما أن المشاكل العائلية أو التعليق السلبي قد يعيقان التعلم لدى الطلبة الكبار، إن قرار هؤلاء المتعلمين في الالتحاق بالكلية أو الجامعة يؤثر على أناس آخرين. فقد يشكل الـزوج أو الـزوجة أو الأطفال نوعاً من الضغط على المتعلم، لأن الوقت الذي يقضيه الطالب في عملية التعلم يكون دائماً على حساب زوجته وأولاده. وتزداد هذه الضغوط عندما لا تكون الأسرة أو الزوجة راغبة في التحاق زوجها بالكلية أو الجامعة.

ومن الضروري أن يدرك معلمو الطلبة الكبار أن خبرة الطالب وقدراته العقلية وأسلوب تعلمه مجرد عينة من العوامل التي تؤثر على أدائه في الصف وفي كل نشاط يقوم به.

كيف تساعد هذه المعلومات المدرسين والإداريين على اتخاذ قرارات بشأن طرق أساليب التدريس؟ وهل الفروق بين الطلبة الكبار والصغار كبيرة تستدعي وجود طرق تدريس مختلفة؟

ليست الفروق بين الطلبة الكبار والصغار مع استثناءات قليلة، كبيرة جداً بحيث تستدعي وجود اختلاف جذري في طرق التدريس لكل مجموعة. ولكن قد يكون من الضرورة بمكان إجراء بعض التعديلات والتغييرات التي تناسب الطلبة الكبار والصغار. وكثير من المبادىء التي تنطبق على تعليم الكبار تنطبق أيضاً على تعليم الصغار. وفي بحث أجراه (آبس ١٩٨١) وجد أن معلمي الطلبة الكبار يمتازون بما يلي:

١- يهتمون بطلابهم أكثر من اهتمامهم بالأشياء والأحداث.
٢- يعرفون مادة تدريسهم.
٣- يستطيعون الربط بين النظرية والتطبيق وبين موضوع دراستهم والميادين الأخرى.
٤- يشعرون بالثقة بالنفس كمدرسين.
٥- يعرفون عدداً كبيراً من طرق التدريس.
٦- لا يفصلون بين دورهم كمعلمين ودورهم في حياتهم الخاصة.
٧- يشجعون المطالعة الخارجية للاستزادة من العلم.

وأضاف (آبس) أن عدداً كبيراً من الطلبة الصغار يفضلون معلمين بهذه الصفات.

ولنعد قليلاً لأساليب التدريس، فقد وجد الباحث السابق أن المعلم المثالي هو الذي يستعمل عدة أساليب للتدريس. ويصدق ذلك في حالة تدريس الطلبة التقليديين لأنه ليست هناك طريقة تدريس مثلى.

ويظن بعض المدرسين أن طريقة المناقشة وإثارة الأسئلة هي الأمثل في تدريس الطلبة الكبار، ولكن الأبحاث لا تؤيد هذا الاتجاه. ولا يعني ذلك أن هذه الطريقة يجب

أن تستبعد نهائياً. بل يجب استعمالها عندما يتطلب الأمر ذلك وخاصة في مجال تبادل الآراء والخبرات. وهناك مواقف تتطلب أسلوب المحاضرة في التدريس. فهي مناسبة جداً عندما يريد المعلم تزويد الطلبة بالمعلومات، في وقت قصير ولأعداد كبيرة من الطلبة. وقد يحفز أسلوب المحاضرة الطلاب على الاستزادة من موضوع المحاضرة. وهناك أساليب تدريس أخرى ظهرت بعد توفر التقنيات التربوية وخاصة أجهزة الكمبيوتر.

وتؤثر على اختيار أسلوب التدريس للطلبة الكبار ثلاثة عوامل هي:

١ـ الطلبة أنفسهم وأساليب تعلمهم وتعليمهم وعملهم وخبراتهم، وأسباب التحاقهم بالتعليم العالي.

٢ـ طبيعة محتوى المادة: هل هي جديدة تماماً أم مألوفة للطلبة نوعاً ما.

٣ـ مصادر التعليم المتوفرة: هل أجهزة الكمبيوتر متوفرة للإستعمال في التدريس وهل وسائل الاتصال الأخرى مستعملة أم لا؟

ويدل ذلك على أن معلمي الطلبة الكبار غير ملزمين باستعمال طريقة معينة للتدريس، بل بوسعهم أن يختاروا الطريقة المناسبة للموقف التعليمي سواء كانت طريقة المحاضرة، أو المناقشة أو الدراسة الذاتية أو استعمال الكمبيوتر والتلفزيون والهاتف وأجهزة الاتصالات المختلفة وغيرها، وهذا يقودنا للموضوع التالي وهو أثر مجتمع المعلومات على طرق وأساليب التدريس.

توفر التقنيات التربوية

تستخدم بعض طرق التدريس الحديثة التقنيات التربوية وخاصة الكمبيوتر والفيديو ووسائل الاتصال ذات التطبيقات العملية المتنوعة في مجال التعليم العالي.

لقد وجه انتقاد إلى التقنيات التربوية القديمة كالتلفزيون والفيديو والمذياع لأنها كانت تركز على الاتصال من جهة واحدة، فكان الطالب يستمع أو يشاهد أو يستمع ويشاهد معاً دون أية مشاركة. ولكن الكمبيوتر يوفر فرصة أكبر من ذلك. وكما يقول (بورك

١٩٨٧) إن من أهم فوائد الكمبيوتر كوسيلة تعليم أنه يجعل التعلم تفاعلياً لكل الطلاب وهذا يساعدنا على معرفة حاجات الطلاب الفردية ومن ثم العمل على تلبية تلك الحاجات.

لقد أصبح الكمبيوتر الآن مستعملاً في كثير من الكليات والجامعات وخاصة في البرامج التي تطرح في الحرم الجامعي.

ويعتبر استعمال الكمبيوتر بادرة خير في تعليم الكبار. إذ يستطيع المتعلمون تلقي دروسهم وهم في بيوتهم أو أماكن عملهم إذا توفر لهم جهاز الكمبيوتر الشخصي.

وتقدم جامعة (نوفا) منذ عدة سنوات برامج تؤهل للحصول على درجة علمية للطلبة الكبار، ورغم الانتقادات العلنية الموجهة لتلك الجامعة إلا أنها استمرت في إبداعها وتقديم برامجها عن طريق أجهزة الكمبيوتر. وبلغ عدد البرامج التي تطرحها الجامعة عن طريقة الكمبيوتر خمسة برامج هي برنامج الدكتوراة في الآداب في علم المعلومات والتدريب والتعلم، وبرنامج الدكتوراة في التربية في استخدام الكمبيوتر، وبرنامج الدكتوراة في علم الحاسوب وبرنامج الماجستير في التعلم بواسطة الكمبيوتر. ويقوم طلاب من أكثر من ست وعشرين ولاية بتلقي دروسهم والاتصال بمدرسيهم عن طريق أجهزة الكمبيوتر، وبوسعهم أن يسألوا ما يريدون من أسئلة لمدرسيهم عن طريق البريد الإلكتروني، إنهم في جامعة (نوفا) يقضون حوالي ٤٠ ساعة في كل فصل في استقبال المحاضرات عن طريق الكمبيوتر، ويقضون ضعف هذه المدة في العمل والاستعداد بواسطة أجهزتهم الخاصة.

وهناك جامعة أخرى تستعمل الكمبيوتر بشكل واسع هي الجامعة الالكترونية في سان فرانسيسكو حيث يستطيع الطلبة التسجيل في برامج مهنية للحصول على شهادة أو في برامج للحصول على الدرجة الجامعية الأولى كدرجة البكالوريوس في الآداب والعلوم وإدارة الأعمال ودرجة الماجستير في إدارة الأعمال، ويشتمل كل مساق على قراءات من كتب مقررة وتعيينات وجلسات للمناقشة مع المدرس من خلال البريد الآلي.

ومن أهم فوائد هذه البرامج الدراسة في البيت وبالسرعة التي يريدها الطالب.

يقـوم البـروفسـور (كن لي) في جامعـة ويسكنسن بتدريس مساق في التغذية يتم تسجيله على شريط فيديو ويبث مبـاشرة من خلال أجهزة التلفزيون إلى أماكن بعيدة، وبـذلك يستطيع البروفسور (لي) الوصول إلى ٧٥٠ طالباً في أماكن مختلفة وفي نفس الوقت. وبالرغم من قبول الطلاب لهذا المساق إلاّ أنه لم يسلم من المشاكل. لقد كان المساق كما وصفه البروفسور (لي) معقداً ويحتاج إلى وقت طويل لإعداده، ويقول (لي):

إن العملية تصبح أقل استهلاكاً للوقت بمجرد وضع المعلومات على شريط الفيديو. ويتم تجهيز الشريط أولاً على ورق ملون بدلاً من الورق الأبيض اللامع. وبمجرد الانتهاء من إنتاج الشريط يصبح بوسعنا عرضه عندما نشاء. وبوسع الطلاب أن يكوّنوا مكتبة من الأشرطة التعليمية. كما يستطيع المدرس إدخال التعديلات وعمليات التطوير الضرورية على الأشرطة القديمة حين يشاء.

وتستخدم جامعة ولاية كاليفورنيا طريقة البث بواسطة الأقمار الصناعية لبث برامجها خارج الحرم الجامعي في مساحة تبلغ حوالي ٣٣ ألف ميل مربع في شمال كاليفورنيا وتغـطي ما تعداده من السكان ٦٠٠ ألف مواطن. ويحضر الطلبة المنتظمون دروسهم داخل الحرم الجامعي في صفوف عادية يتم فيها تسجيل وبث تلك المحاضرات للطلبة الذين يدرسون خارج الحرم الجامعي. ويشتمل النظام اليوم على أشرطة فيديو للمشاهدة والاستماع وعلى أجهزة أخرى يستمع إليها الطلاب. وفي الوقت نفسه يستطيعون توجيه الأسئلة إلى المدرسين من خلالها.

ويحقق هذا النظام فوائد كثيرة للطلبة الكبار وخاصة أنه يمكنهم من التعلم وهم في بيوتهم أو أماكن عملهم وبالسرعة التي يريدونها. وفي دراسة أجراها (مور) عام ١٩٨٦، وجد أن توقعات الطلبة الذين يدرسون خارج الحرم الجامعي تشمل ما يلي:

١- يريدون مقداراً من المعرفة يشتمل على المهارات والاتجاهات، لأن معظمهم يهتم بالتطبيقات العملية.

٢- يتوقع الطلبة أن يزودوا بدليل مرافق للدراسة، وتشتمل هذه الأدلة على استراتيجيات مقترحة للتعلم.

٣- يتوقع المتعلمون أن يساهموا بشكل فعال في عملية التعلم. وقد يعني ذلك كتابة الأبحاث أو الإجابة عن أسئلة المدرس عن طريق البريد الألكتروني.

٤- يتوقع الطلبة استجابة من المدرس على مشاركتهم. فهم يريدون التأكد من وضوح فهمهم للمعلومات.

٥- يتوقع الطلبة أن تقدم لهم بدائل في حالة حصول مشكلة أو حدوث أمر غير متوقع سواء كان متعلقاً بالمساق أو بأعمالهم.

تحتاج المساقات التي تدرس عن بعد إلى إعداد وتطوير. فلا بد أن تكون من مستوى جيد أكاديمياً لتجتذب إليها الطلاب ولذلك فإن إعداد المساقات والمحاضرات يتم بشكل جماعي عن طريق فريق من المختصين والخبراء.

وعلى الرغم من ذلك كله، وجهت لتلك البرامج انتقادات كثيرة، كان أولها التكلفة الباهظة، إذ يكلف إعداد البرنامج آلاف الدولارات. وبعد انتاج وإخراج هذه البرامج تصبح رخيصة وفي متناول أيدي الطلبة والمؤسسات الأخرى.

ومن أجل تخفيض النفقات، اقترح (كيبل ١٩٨١) ما يلي:

١- تطوير مواد محلية قليلة التكلفة تستفيد من المصادر المحلية وتستجيب لحاجات الطلبة.

٢- الاستفادة من مؤسسات الانتاج الكبيرة كالإذاعة والتلفزيون التربوي وغيرها.

ويوجه (فليت) ١٩٨٧ انتقاداً آخر لبرامج التدريس عن بعد فيقول إن المساق الذي

لا يشترك فيه المعلم مباشرة يكون أقل فعالية من المساق الذي يشترك فيه المدرس مباشرة. وإن الطالب في الحالة الأولى يعاني من العزلة. ومن الممكن حل هذه المشكلة باستعمال التقنيات التربوية ذات الاتجاهين والتي تسمح للطالب بالاستماع أو المشاهدة وفي الوقت نفسه يستطيع الطالب أن يسأل ويناقش أستاذه.

ويقول (كي لوهل) إنه يجب التفكير في كيفية استعمال الوسائل التكنولوجية في الظروف الاقتصادية الصعبة. وينبغي أن نتساءل عن مردود هذه البرامج في مثل هذه الظروف وخاصة في الدراسة في المرحلة الجامعية الأولى.

وبالرغم من هذه الانتقادات والمشاكل الموجهة لاستخدام التكنولوجيا في التدريس عن بعد، إلا أنها تبقى ذات أثر كبير على التعليم العالي وخاصة خارج الحرم الجامعي.

الاتجاه نحو مجتمع المعلومات

منذ أكثر من عقد من الزمان ونحن نسمع أننا قد بدأنا بالتحول من مجتمع صناعي إلى مجتمع معلومات. وقد وصف الباحثان (نيسبت) ١٩٨٢ و (توفلر) ١٩٨٠ كيفية تأثير المعلومات المتوفرة لدينا على جميع نواحي حياتنا.

إن التعليم العالي بعيد عن مجتمع المعلومات لأن مؤسسات التعليم العالي بما فيها من باحثين وعلماء تنتج المعرفة وتوزع المعلومات من خلال برامج تدريسية مختلفة.

وأتساءل دائماً كيف يمكن للمدرس أن يُدْخِل إلى المساق الذي يدرسه المعلومات الجديدة التي يجب أن يتضمنها المساق. ولذلك تقوم الكليات بتعديل مناهجها وخططها بإدخال مساقات جديدة دائماً. ولا يؤثر الانفجار المعرفي على برامج الكليات والجامعات فحسب، بل له أثر كبير على برامج التعليم المستمر أيضاً. ولم تحدث زيادة على كمية المعلومات المتوفرة فحسب، بل حدث تغيير جذري على طريقة تخزين هذه المعلومات، ونشرها خلال السنوات الثلاث الأخيرة. وبعد اختراع الاسطوانة الخاصة بالكمبيوتر أصبح من الممكن تخزين حوالي (٢٥٠,٠٠٠) صفحة من المعلومات في أربع اسطوانات وثلاثة أرباع الاسطوانة. وهناك اسطوانات حديثة تتسع الواحدة منها لحوالي مليون صفحة

من المعلومـات. فمن الممكن أن يمتلك الفرد مكتبات كاملة مسجلة على اسطوانات معينـة. ومع انخفاض الأسعار وكثرة الاسطوانات، أصبح بوسع الناس الحصول على كميات هائلة من المعلومات. ويثير هذا الوضع تساؤلات كثيرة أمام التعليم العالي أهمها ما هي المعرفة؟ وما هي طرق مساعدة الإنسان على المعرفة؟

ومن السهل أن يظن رجال التعليم العالي والمهتمون به أيضاً أن المعرفة تعني تجميع المعلومات، وبالتالي كلما زادت المعلومات يجب أن نتأكد أن طلابنا قد حصلوا على ما استجد من معلومات في تخصصاتهم. ومن السهل أيضاً أن نقبل هذه المقدمة، ولكن من السهل أيضاً أن نقول إنه كلما زاد التركيز على جمع المعلومات تقل المعرفة أو لا تتم أبداً.

ولنوضح ذلك لا بد لنا أن نحدد ما نقصده بكلمة المعرفة، فالمعرفة والتي كانت مثار اهتمـام الفـلاسفـة وغيرهم خلال القرون السالفة كلمة تعني انسجام المعرفة الجديدة بخبرات وأفكار وقيم المتعلم. وهذا يدل على الفرق الكبير بين معنى المعرفة وتجميع المعلومات.

وبطريقة أو بأخرى فقد جمع الواحد منا كميات كبيرة من المعلومات ونستطيع أن نستعيدها إذا طلب منا ذلك. وهذه المعلومات موجودة في أذهاننا بالدقة التي حصلنا عليها بها. ولكن المعرفة تعني عمل شيء ما بهذه المعلومات كمقارنتها بما نعرف أو التأكد من صحتها بالنسبة لما نعرف.

ومن أهم أقسام المعرفة الفكر الناقد وتحليل الأفكار والبحث عن معانيها العميقة وتمثلهـا والتأكد من صدقها. ولكن المعرفة بالنسبة لي تعني أكثر من ذلك. فمعرفتك لشيء تعني إيجاد علاقة به والتدخل فيه وليس الابتعاد عنه. وتعني أيضاً ايجاد العلاقة بين ما هو معـروف وبين الأفكـار والمعلومـات الجـديدة وربـطهـا بالخبـرات السـابقة والمستجـدة. فمن واجب المدرس إذن أن يساعد المتعلمين على إيجاد علاقات بين المعرفة النظرية وبين المعرفة التطبيقية التي يمارسونها.

طرق وأساليب التدريس

ما مدى العلاقة والتواصل بين المناقشات السابقة واختيار أساليب التدريس، لقد أصبحت مقارنة أساليب وطرق التدريس بعضها ببعض أمراً مألوفاً في السنوات الأخيرة. فهل المحاضرات أفضل من أسلوب المناقشة أم لا؟ وهل استعمال الأفلام أفضل من استعمال الأشرطة؟ وهل استعمال الكمبيوتر أفضل من استعمال الفيديو في التدريس؟

إن معظم دراسات المقارنة هذه اعتمدت مبدأ استدعاء المعلومات كمتغير تابع أو غير مستقل. وقد أثبتت هذه الدراسات وجود فروق ضئيلة بين أساليب وطرق التدريس المتبعة.

ويبقى السؤال المهم قائماً: ما هو الهدف من جهود التدريس؟ ويمكننا تحديد ثلاثة أهداف رئيسة لعملية التعلم:

- التعليم الفني.
- التعليم من أجل المعنى.
- التعليم الذي يهدف لتحرير الإنسان.

والتعليقات المقتضبة التالية من شأنها توضيح المفاهيم المذكورة وإليكم تلك التوضيحات:

- التعليم الفني:

ويعني هذا النوع من التعلم اكتساب المعلومات والمهارات الضرورية لتحقيق أداء أفضل في العمل. ويسمي بعض الباحثين هذا التعلم بتعلم الأداء.

- التعليم من أجل المعنى:

ويعني هذا النوع من التعلم المشاركة والتفاعل، ولا يكون التركيز فيه على اكتساب مهارات ومعلومات من أجل تحسين الأداء بل على تحصيل المعاني من الخبرات

التربوية. ويندرج تحت هذا النوع أمور مثل مناقشة الأدب الإنجليزي، والامتحان حول الحرب الأهلية، ومناقشة القيم والأخلاقيات في التربية الابتدائية. والناتج هنا ليس مهارة في الأداء بل فهماً أفضل لأمرٍ ما.

ـ التعليم الذي يحرر الإنسان:

يعتبر هذا النوع من التعليم من المفاهيم الجدلية في التربية ويهدف هذا النوع تحرير الإنسان من المؤثرات الشخصية والقوى المؤسّسية والبيئية التي تمنعه من تحقيق أهداف أوسع ومن التحكم في أمور حياته بشكل أكبر. ويتضمن هذا التعليم ثلاث مراحل:

ـ المرحلة الناقدة، ومرحلة التكامل، ومرحلة العمل:

ففي المرحلة الأولى يشجع المتعلم على إثارة التساؤلات عن الأوضاع الحالية وتفحص المفاهيم العامة السائدة وتحديها وتحليل ما هو معروف عن أمر ما. فمثلاً إذا كانت برامج التعليم المستمر مصممة لتزويد الموظفين بتدريبات على القيادة فمن الضروري أن تعلمهم البدء في مناقشة ودراسة أوضاعهم الحالية، وإثارة التساؤلات حولها.

وفي المرحلة الثانية يهدف التعليم إلى جمع معلومات من مصادر متنوعة لتكوين صورة متكاملة عن التساؤلات التي أثيرت في المرحلة الأولى. وفي هذه المرحلة يتم اختبار وجهات نظر متضاربة، ويتم اختبار الحاضر والماضي ويستفاد كذلك من الآراء والأفكار الشخصية (آبس ١٩٨٥).

أما في المرحلة الثالثة فإن مرحلة العمل تعني توجيه المتعلمين وإرشادهم لتطبيق ما تعلموه. فقادة الاتحادات يجربون ما تعلموه حديثاً وكذلك المدراء. وتعتبر هذه المرحلة اختباراً للتعلم. وهكذا يدخل المتعلمون في مرحلة التطبيق العملي للمراحل الثلاث. وهذه المراحل متداخلة مع بعضها البعض وتشتمل على مراحل كثيرة كمرحلة التعلم والتطبيق والتخلي عن بعض المفاهيم وإعادة التطبيق وغيرها.

ويعتبر التعليم الذي يحرر الإنسان من أكثر أنواع التعليم عمقاً وشمولية، أما التعليم الفني فهو أكثرها سطحية وشمولية ويحتل التعليم من أجل المعنى موقعاً وسطاً بين النوع الأول والثالث.

وتعني هذه الملاحظات أن على المدرس أن يختار نوع التعليم الذي يريد انجازه مهنياً كان أم بهدف التحرر. وبالتالي يصبح من الضروري تحديد طريقة التدريس المناسبة التي من شأنها أن تساعد الطلبة على تحقيق أهدافهم. فعلى سبيل المثال يعتبر أسلوب المحاضرة واستخدام التلفزيون والمذياع والهاتف من الأساليب المستعملة لتحقيق التعليم الفني. وأما أسلوب المناقشة واستعمال الكمبيوتر الذي يسمح بالتفاعل بين الطالب والمدرس فيصلح لتحقيق النوع الثاني من التعلم وهو التعلم من أجل المعنى. وقد تستغل هذه الطرق والأساليب جميعاً لتحقيق النوع الثالث. ولا بد من تحديد الأهداف ومعرفتها جيداً قبل اختبار أسلوب التدريس، ولا بد أيضاً من تنويع أساليب التدريس وفق المواقف والأهداف التعليمية.

وهناك نقطة أخيرة أريد أن أذكرها فيما يتعلق بنتائج التعليم وهي مسألة ما يستطيع التعليم العالي تقديمه للمتعلمين الكبار. إن معظم مؤسسات التعليم البديلة لمؤسسات التعليم العالي تستطيع أن تقدم النوع الأول من التعليم ولكنها في الغالب لا تستطيع توفير النوعين الآخرين. وهنا يأتي دور التعليم العالي في توفير التعليم من أجل المعنى والتعليم الذي يحرر الإنسان من أفكاره القديمة ويدفعه للتفكير الناقد البناء.

الخلاصـــــة

عند اتخاذ قرار بشأن أسلوب التدريس المناسب للمتعلمين الكبار لا بد من أخذ الأمور التالية بعين الاعتبار، طبيعة هؤلاء المتعلمين وتوفر التقنيات التربوية وأثر المجتمع المتعلم.

يتوقع المتعلمون الكبار أن يكون لهم دور فاعل في عملية التعلم وذلك استناداً إلى خبراتهم السابقة التي قد تساعد أو تعيق عملية التعلم. ويواجه التربويون اليوم تحديات

كثيرة وخاصة بعد توفر تكنولوجيا المعلومات. فهم يواجهون مشكلة كيفية تزويد طلابهم بما يستجد من معلومات هائلة. ولكن هناك عقبات كثيرة تظهر مع توفر الوسائل التكنولوجية منها التمييز بين المعرفة وجمع المعلومات.

وتواجه التربويين مشكلة اختيار أسلوب التدريس المناسب لتحقيق نتائج التعلم المطلوبة وهي أولاً: التعلم الفني وثانياً: التعلم من أجل المعنى، وثالثاً: التعلم الذي يحرر الإنسان من بعض المفاهيم والأفكار القديمة التي لم تعد مناسبة.

تقوم مؤسسات التعليم العالي البديلة بتوفير النوع الأول من التعلم وتبقى مؤسسات التعليم العالي (الكليات والجامعات) متميزة في توفير النوعين الثاني والثالث.